العرب
الإثنين 2021/11/15
السنة 44 العدد 12241

فيلم خيال علمي ينعى الطبيعة والحياة والبشر

«فينتش».. توم هانكس وكلب وروبوت هم الباقون بعد فناء الأرض

تبدو الصورة القاتمة للعالم من جراء الاحتباس الحراري والانفجارات الشمسية المحتملة وتقلبات الطبيعة والإشعاعات المدمّرة هي الصورة الأكثر تداولا لدى العديد من الأوساط في ظل سيناريو يطال الوجود البشري ملحقا أضرارا لا يمكن تصوّرها. وبالتالي لن يبقىٰ هناك سوى الناجين من الكارثة والذين تعنىٰ سينما الخيال العلمي بشكل خاص بالكيفية التي سوف يواجهون بها تلك التحوّلات الكارثية في سياق الصراع من أجل البقاء.

طاهر علوان
كاتب عراقي

يُعالج فيلم "فينتش" للمخرج البريطاني ميغويل سابوشنيك الإشكالية المركّبة للديستوبيا الأرضية ومرحلة ما يعرف بـ"أبوكاليبس"، حيث الوجود البشري قد انقرض تقريبا، ولم يبق هناك سوى مهندس البرمجيات فينتش (الممثل توم هانكس) مصحوبا بكلبه والروبوت الذي قام بتصنيعه وتدريبه وتلقينه لكي يستطيع العناية بالكلب بعد رحيله.

والمخرج سابوشنيك يقدّم هذا الفيلم من إنتاجات الشركة العملاقة "آبل" وبمشاركة منتجين آخرين، وهو فيلمه الثاني بعدما كرّس مسيرته في المسلسلات التلفزيونية، وقد أخرج العديد منها وتميّز في ذلك، وخاصة بانضمامه إلىٰ فريق إخراج المسلسل ذائع الصيت "لعبة العروش"، حيث أخرج عدة أجزاء منه.

الوجود المهدّد للكائن البشري يحيلنا إلىٰ نوع من نعي الطبيعة والحياة والناس، البيئة مقفرة ولم يبق من حياة البشر إلاّ آثارهم، طرقات محطمة تتناثر عليها سيارات يغمرها التراب ودكاكين ومدارس ومطاعم ومكاتب وغيرها، كلها مهجورة دون أن يفصح الممثل الرئيسي توم هانكس عمّا جرى ويجري، ولماذا آلت الأمور إلىٰ ما آلت إليه؟ إذ يكتفي فينتش بالقول "إنها قصة طويلة".

علىٰ أن مجرّد تكرار الإنذارات والتحذيرات التي تصل إلىٰ فينتش من أجهزة إلكترونية متطوّرة حول ارتفاع نسبة الإشعاع والسموم في مقابل ارتفاع درجة الحرارة إلىٰ ما يقارب سبعين درجة مئوية، كل ذلك يساعد المشاهد في تكوين صورة واقعية عن فداحة الكارثة، أي أن الإشعاعات كانت تستدعي أن يلبس فينتش بدلة خاصة مثل بدلات الفضاء ومربوطة بجهاز تنفّس اصطناعي إلىٰ درجة أنه لا يستطيع الخروج إلىٰ الفضاء الخارجي من دون تلك البدلة المتطوّرة التي تحفظ له حياته. ومع ذلك تتسرّب الإشعاعات الذرية الخطيرة إلىٰ جسد فينتش فتبدأ الفتك به حتىٰ يشعر في آخر المطاف أن نهايته قريبة وأن لا سبيل أمامه للنجاة.

والحاصل أننا وطيلة هذا الزمن الفيلمي، نجد أنفسنا أمام شخصية واحدة، هذا إذا أضفنا وجود الروبوت والكلب، واقعيا إن هذه الشخصية هي التي تحاول أن تثبت لنا حقيقة ما يجري وكيف سوف تكافح من أجل إنقاذ نفسها وإنقاذ الكلب والروبوت، وها هو فينتش يطوّر أيضا عربة كبيرة يستطيع النوم فيها، فيما يدرّب الروبوت علىٰ قيادة العربة، بينما هو نائم بسبب الإعياء.

ما يلي ذلك هي حوارات متواصلة ما بين فينتش والروبوت الذي تم تلقينه كما هائلا من المعلومات حتىٰ اقترب من الطبيعة البشرية، بينما هو كومة من الحديد والأسلاك، ولهذا تبدو ردود أفعال الروبوت مبالغا فيها، لكنه سدّ الفراغ الذي تحتاج الشخصية الرئيسية أن تملأه بالبشر، لاسيما وأن هناك الكثير من المعلومات المفقودة عن فينتش نفسه وماضيه وأسرته وما إلىٰ ذلك، ويبدو وكأنه إنسان تائه في وسط تلك المعمعة، ولربما فقد ذاكرته الماضوية وصار منشغلا بالحياة اليومية، لاسيما وأنه يحصي الأيام والساعات المتبقية له في الحياة قبل رحيله.

علىٰ الصعيد المكاني ينجح المخرج بشكل ملحوظ في تقريبنا من الأجواء الديستوبية من خلال اختيار العديد من الأماكن التي ضربتها الكارثة وأبقتها أثرا بعد عين، ويتجلىٰ ذلك في مشاهد دخول فينتش والروبوت إلىٰ أحد المجمعات التسويقية الضخمة والذي صار مهجورا منذ زمن، وحيث الإشعاعات تطارد الجميع، لاسيما وأن فينتش يجد نفسه فجأة وهو يسابق العاصفة التي تقترب وبصعوبة يصل إلىٰ المخبأ لكي يحمي نفسه وكلبه.

ولا شك أن دراما الشخصية الواحدة في السينما هي من التحديات المربكة بالنسبة إلىٰ المخرج الذي لا يجد بديلا عن فقدان الشخصية لانتمائها، ولهذا فإن هناك الكثير ممّا يجب أن تقوم به الشخصية متعكّزة علىٰ الحوار، لكن في هذا الفيلم سعىٰ المخرج لكسر هذا الجمود الذي يستند إلىٰ الحوار المجرّد، ولهذا لجأ إلىٰ الارتقاء بالشخصية الروبوتية لكي تكون ندا للشخصية الرئيسة وتتكامل معها، بل إن المخرج أعطاها مهامّ تقترب من البشر، وصولا إلىٰ سعيها لاختيار ارتداء نوع معيّن من الملابس، فضلا عن معرفته قواعد السياقة والمسافات بين المدن.

ويمنح المخرج فيلمه نهاية مزدوجة، فهي نهاية حزينة وسعيدة في آن معا، فالنهاية الحزينة تكمن في احتضار فينتش ومن ثم موته وقيام الروبوت بإحراقه، وأما النهاية السعيدة فتكمن في بصيص الأمل بظهور الشمس للمرة الأولىٰ ووجود حياة في الأراضي التي وصلوا إليها وقد دلّت عليها فراشة تحطّ علىٰ يد فينتش ثم تحلّق بعيدا.

نقديا، تراوحت آراء النقاد في المواقع والصحف الغربية ما بين تقييم الفيلم في حدود المتوسط، بينما كانت الجدارة قد أُضيفت لصالح توم هانكس ليُضيف هذا الفيلم إلىٰ رصيده من الأفلام وللجمهور الذي يعجبه أداؤه.

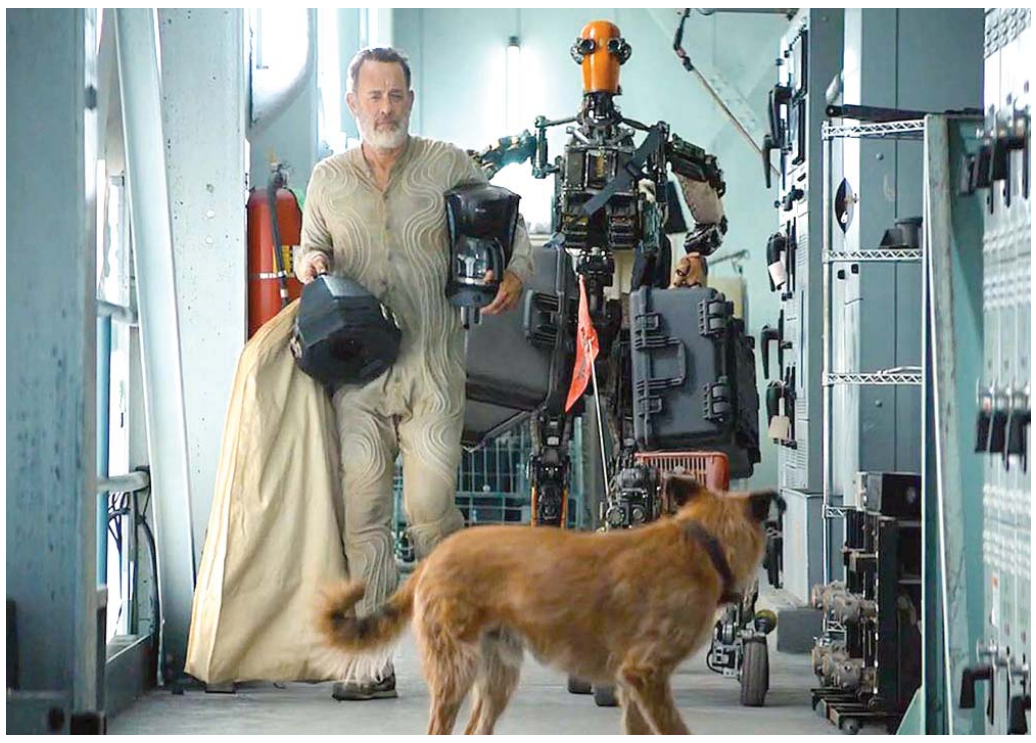

ثلاثي معزول وسط عالم ديستوبي

الفيلم يُعالج الإشكالية المركّبة للديستوبيا الأرضية ومرحلة ما بعد أبوكاليبس حيث الوجود البشري قد انقرض تقريبا

«جزيرة الذهب».. مسرحية تغني للحياة وتتغنّى بالفنون

علىٰ خشبة مسرح الشمس بباريس تقدّم المخرجة الشهيرة أريان منوشكين عملا مسرحيا جديدا بعنوان "جزيرة الذهب" استوحته هي والكاتبة هيلين سيكسو من الثقافة اليابانية، تدعو من خلاله المتفرّج إلىٰ جنّة متخيلة يستعيد فيها الفرد آماله.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

بعد "غرفة في الهند" تعود شيخة المسرح الفرنسي أريان منوشكين (82 سنة) للتعامل مع الكاتبة هيلين سيكسو في صياغة عمل فرجوي مشترك يتوجّه إلىٰ كافة الأعمار وسائر الشرائح المجتمعية لكونه يحتفي بالتسامح والمحبة والبراءة والتطلع إلىٰ المستقبل بعيون متفائلة.

مرة أخرى تلتقي السيدتان علىٰ مسرح الشمس، المسرح الذي أسّسته منوشكين عام 1964 في باريس لتقدّما عملا جديدا بعنوان "جزيرة الذهب". هل أن هذه الجزيرة موجودة علىٰ أرض الواقع؟ وأين توجد؟ "نعم"، تقول الكاتبة هيلين سيكسو.

وتضيف "هي موجودة في مياه اليابان، وهذه ليست أول مرة، إذ سبق أن وجدت، وسوف توجد أكثر من مرة في سرديات وقائع آمالنا وخيباتنا.

كلما شارف العالم علىٰ تدمير نفسه بنفسه، ينهض مدافعون عن الشرف والأمل للبحث عن سفينة، كسفينة نوح، واللجوء إلىٰ الجزيرة، جزيرة الذهب، التي تبدو منفىٰ، ولكنها في الواقع ملاذ وبداية حياة جديدة.. هي تُدعىٰ فعلا 'جزيرة الذهب'، ولكن ما الذّهب؟ بالنسبة إلىٰ شخصياتنا المدافعة عن الشرف، ليس ذهبَ المناجم والبنوك، وإنما هو ذهب الضيافة، الذهب البريء خارج الخزائن، ذهب مآدب الصداقة، الذهب الطيب الذي سوف يسمح بانتعاش الذكاء ومجيء عيد الشفاء القادم".

بعضهم يعتقد أن الجزيرة نائمة في مكان ما، جنب منفيّين مشاهير، غير بعيد عن السواحل اليابانية، في شمالها الغربي تحديدا. وآخرون يرون أن لها شبها بـ"يوتوبيا"، تلك الجزيرة التي تخيلها الكاتب الإنجليزي توماس مور. ولكنها تحيل أساسا إلىٰ جزيرة سادو التي كانت تستقبل المنفيين والمبعَدين وسائر المغضوب عليهم من أهل الفكر والأدب والفن، مثل ممثل مسرح "نو" زيامي موطوكيو (1363 – 1443).

تلك الجزيرة التي صارت تعرف بجزيرة الذهب، مذ تمّ اكتشاف منجم ذهب في أعماقها عام 1601، ولكنّها هنا كناية عن العالم، وبالأحرى عن عالم يتداعىٰ، وآخر ينهض علىٰ أنقاضه.

"عند الكوارث، أُعطونا جزيرة وسوف نخلق بلا توان عالما جديدا!"، يقول أبطال المسرحيةً، وما يلبث أن يقبل إلىٰ جزيرة الذهب من شتىٰ أصقاع الدنيا كل الناجين من الكوارث، حيث تستوي الأجناس وتتلاحم الثقافات وتبتدع لغة توحّد الجميع. فالجزيرة هي موطن كل الممكنات. فهل هي خرافة أم واقع أم حلم أم كوميديا؟

> المسرحية مستوحاة من الثقافة اليابانية حيث يسافر المُشاهد إلى جنّة متخيلة يستعيد فيها آماله الضائعة

هي كل ذلك علىٰ الخشبة، وإن كانت كل الدلائل تشير إلىٰ أن الجزيرة توجد في المياه اليابانية، حيث سافرت منوشكين منذ صغرها وانبهرت بأداء ممثل شاب علىٰ خشبة مسرح صغير بحي أساكوسا في طوكيو، قبل أن تكتشف مسرحية "نو" في الهواء الطلق بكوبي، وتنبهر بهذا الشكل المسرحي الفريد وتسعىٰ لتمثّله. وهو ما أكّدته في الكلمة التي ألقتها بمناسبة تسلمها جائزة كيوطو للفنون والفلسفة عام 2019.

لإعداد هذه المسرحية تدرّبت فرقة أريان منوشكين علىٰ مبادئ مسرح "نو" المعروف ومسرح "كيوجين" (الشكل الكوميدي في المسرح التقليدي الياباني)، لتقدّم عرضا فرجويا يجمع بين المسرح والرقص والموسيقىٰ والغناء، ويحتفي فيه القادمون من شتىٰ الأصقاع بما يسمونه ثقافة القلب ضد ثقافة السلطة وقتلة الفكر، تنفيسا عن الغضب ولكن بتحويله إلىٰ أداة فعل إيجابي، في محاولة لإضاءة فوضىٰ العالم، واقتراح أفراح ممكنة. وهي إلىٰ ذلك "بمثابة تحية إلىٰ كل الذين تعلمنا منهم وأخذنا عنهم، وتحية إلىٰ أعلام المسرح، يابانيين وهنودا وغربيين"، كما صرّحت المخرجة الشهيرة.

"جزيرة الذهب" مسرحية تغني للحياة كما تغني للمسرح. يمكن اعتبارها تتمّة لـ"غرفة في الهند"، فالبطلة كورنيليا حاضرة هنا أيضا، وكذلك الجو المرح الذي يتجلىٰ أثره في تخفيف وقع المآسي في النفوس، فهو يرافق حرية الذهن الذي يربأ بنفسه عن كل تفكير يتدنىٰ إلىٰ مجرد شعارات، ويسعىٰ جهده لتجاوز المحن، وتحويل غضبه إلىٰ أشياء إيجابية تفيده وتفيد كل من حوله.

والمسرحية في أكثر من وجه، كسابقتها، أي لوحة فنية بسعة الكون، وعرض فرجوي رائع لعدد لا يحصىٰ من الممثلين والممثلات والراقصين والراقصات، يحمل المتفرّج إلىٰ عالم ملىء بالأحلام والكوابيس، حيث يمتزج الخوف والرغبة، الخوف من واقع تسكنه المصائب والكوارث، آخرها هذه الجائحة التي عطلت العرض لمدة عام، والرغبة في تجاوز ذلك بالرقص والغناء والمرح علىٰ أنغام الموسيقار جان جاك لوميتر، في جو ملؤه التفاؤل بغد أجلىٰ أفقا، وواقع أكثر حبورا ومسرات.

وقد اعتادت أريان منوشكين أن تكتفي بعملها، فلا تعليق ولا شرح لمقاربتها الفنية. حسبها أن مسرحها موجود وأنه يعمل، ويتغذّى من ذاكرات شتىٰ ورغبات لا حصر لها، محمولا بحزم أعضائه وعزيمتهم، وأنها ربّان سفينة تجوب بحار الإبداع، وقد أرست هذه المرة علىٰ السواحل اليابانية. فلا مطمح لها سوى إنجاز فنها بالطريقة التي ترضيها وترضي جمهورها. تقول في هذا الصدد "ننتظر بفارغ الصبر تلك اللحظة الهامة التي يلتقي فيها نهران: العرضُ والمشاهدون الذين جُعل العمل المسرحي لأجلهم".

جزيرة الذهب.. موطن كلّ الممكنات

الهروب من الفراغ

فاروق يوسف
كاتب عراقي

لن يكون جياكوميتي سعيدا باكتشافه من جديد. بالنسبة إلىٰ مَن يرى أعماله فإن النحات السويسري الذي عاش في باريس هو حدث جديد دائما.

قبل ثلاثين سنة رأيت كلبه في أحد المتاحف بزيورخ ولم أستطع الهروب منه. طاردني ذلك الكلب في أحلامي. وليس غريبا أن يكون قد أعادني إلىٰ الجملة الأخيرة التي انتهت بها رواية المحاكمة لكافكا "مثل كلب".

أشعر دائما أنني أقيم بين قوسي تلك الجملة بسبب جياكوميتي. فأعماله النحتية تنبعث من جهة الكابوس المعاصر.

عاش ألبرتو جياكوميتي (1901 ـ 1966) صداقة من نوع خاص مع فيلسوف الوجودية جان بول سارتر وكان لا بد أن يتأثر بشخصيته وأفكاره. ولهذا فبقدر ما كانت أعماله حدثا غير مسبوق في تاريخ النحت كانت تنطوي علىٰ أسئلة وجودية لم يطرحها الفن بتلك الكثافة والاختزال والغزارة من قبل.

"خلاصة وعي شقي" تلك جملة يمكن من خلالها وصف كل عمل نحتي من أعمال ذلك الفنان الذي يوحي وجهه بأن كل تعاسات البشر مرّت عليه وقاومها بل وخرج من حروبها منتصرا، لكن بقدر لافت من الكآبة.

قاوم جياكوميتي الألم بالألم وهي طريقة فريدة من نوعها في مواجهة الألم. وكان "الوجود النقي" وهو عنوان معرض استعادي لوجوهه أقيم في لندن منذ سنوات معبّرا عن اللحظة الحرجة والقاطعة التي مثلها ظهوره في إطار الحداثة الفنية.

كان الفنان الأكثر تعبيرا عن الصدام الوجودي الذي يعيشه الإنسان بفعل ما شهده القرن العشرون من حروب زادت من غربته وشعوره بالنفي وسط قيم رأسمالية خادعة، تستهلك الإنسان مثلما تصنع منه كائنا استهلاكيا يأتمر مدفوعا بنفعيته.

ذلك الزائر النحيف الطويل المتآكل ينقلنا مباشرة إلىٰ الهجرات الاضطرارية التي يعيشها البشر مطرودين من جناتهم الطبيعية بحثا عن جنات اصطناعية علىٰ حد تعبير الشاعر شارل بودلير. ذلك هو الإنسان بالمفهوم الفلسفي الذي اتبعه جياكوميتي وهو يحاول إعادة تعريفه.

لا تملأ كائنات جياكوميتي الفراغ ولا تزيّنه ولا تسكنه لتكون جزءا منه، بل تخترقه كما لو كانت علىٰ موعد مع خواء أشدّ ضغطا وعنفا.

منحوتات جياكوميتي تنطوي على أسئلة وجودية حارقة